# أدب الطفل ... الحقيقة والمستقبل

**أ.فاطمة فؤاد أحمد**

**كاتبة الأطفال**

حول الواقع المعيش الذي يقدمه الأدب بصفة عامة وأدب الطفل خاصة أتحدث، ومن منطلق ما يمليه عليّ الضمير اليقظ والمسئولية الحتمية التي تضع الأديب في المحك الحقيقي، ليطرح من خلال ما يقدم من حصيلة معارفه، إضافة الى ما حباه الله به من موهبة حقيقية.

قد يتعذَّر عليّ أحيانًا أن تصل الفكرة التي أريد أن أعبّر عنها؛ ربما يرجع ذلك نتيجة لتساؤلات كثيرة يطرحها المهتمون بأدب الطفل، أو ربما لتوسع دائرة النقاش حول كثير من المناحي الخاصة بكل شيء يخص الطفل من خلال ما يقدم، ولكنني لا أجد صعوبة ما دام القلم يستطيع أن يطرح الفكرة، ويقدمها على أشكالها المختلفة، وربما يجيب على بعض التساؤلات التي تعلق في أذهان كثير من النقاد والمهتمين، من خلال ذلك المقال الذي حاولت فيه جاهدة أن أطرح بعضًا مما يؤرقني في عالم الكتابة للطفل.

فالأديب يستطيع أن يعبّر بقلمه عما يخلد بأفكار الآخرين من حوله، فإن الطاقة الكامنة في أعماقه لا تتوقف كنبض يسري في خلجاته، فإنني أتأمل من حولي صور كثيرة وأطروحات عدة حول ذلك الأدب المهم جدًا، لنجد مثلاً أفكارًا متتالية حول أن يخلو ذلك الأدب من التركيز على السلوكيات والإرشادات، والتوجيه المستمر ما بين تواجده أو عدمه أو خلوه بما يتعارض مع التسلية أو الترفيه عن المتلقي، وكذلك الانطلاقة التي ينطلق منها ذلك الأدب، وفحواه الحقيقي حول جيل بأكمله غير الأجيال السابقة، سواء ممن كانوا يكتبون في السابق أو الحالي، أو حول الطفل نفسه الذي يتلقى ما يقدم له، هل يتقبله؟ أم ينزوي عنه؟ أم ربما يستخف بعقله؛ نظرًا لذكائه وتعدد مواهبه؛ مما يصعب على الكاتب مهمته فيما يطرحه من مواضيع ومضامين مختلفة.

لكن لا بد من وقفة، حتى لا ينحصر أدب الطفل في إطار واحد ينظر منه البعض، وفي رأيي أن أدب الطفل ليس قاصرًا على الترفيه أو الحكي أو التسلية فحسب، وإنما هناك قضايا كثيرة يستطيع أن يعبّر عنها الكاتب ويعبُر منها ويتقبلها الطفل ذاته؛ نظرًا لأنه في أمس الاحتياج إليها، وأن التطور والإبداع والابتكار فيما نقدمه حتى نواجه العصر الحديث تناولًا مهمًا جدًا، ولكنه أيضًا لا يتعارض مع هموم المتلقي واحتياجاته، وقدراته، وذكائه، وسلوكياته، والحالة المزاجية المختلفة، والفروق الفردية المختلفة في أعمار متفاوتة.

وبما أننا نعلم أن هناك تباينًا واضحًا في عالم الصغار، فذلك يجعلنا آملين في إيجاد حلول للإشكاليات التي نلتف حولها جميعًا فيما نقدمه أو ما لا نقدمه، أو الصحيح فيما يقدم وما نطرحه، ومسألة التقييم في المحتوى المقدم إلى المتلقي، إنني أستطيع أن أجزم أن الطفل سيظل دائمًا بحاجة إلى من يعرفه أكثر، ويحاكيه أكثر، ويتقارب معه في نقاط التقاء.

أعلم أن طفل البارحة غير طفل اليوم، ولكن الطفولة تجمعها أشياء عدة هي الفيصل في الأمر الذي نطرحه، وهناك سلوكيات لا نختلف عليها، وأيضًا مواهب يتفق عليها الصغار، فإننا لن نجد الطفل يتجرد من البراءة مثلاً، فنحاكيه في كتابتنا من ذلك المنطلق، وكذلك فهو لا يتجرد من الحيوية والطاقة والنشاط والذكاء والنجاح والخوف والرضا والغضب والصدق، فهناك أطفال تجمع بين الشيء ونقيضه، فهم بحاجة إلى إظهار الثمين من الغث، وبحاجة إلى تعميم الصحيح وتقليص الخطأ.

كثيرًا منا يتحدث بلسان الصغير، وربما يوقعنا ذلك في المحظور، وهذا ما أقصده، فلا ضرر أن نتحدث بلسانه أحيانًا؛ لنعرف مطالبه وما يؤرقه، ولكننا بحاجة إلى أن يعبّر الصغير عن ذاته؛ حتى ندرك ما يريده وما لا يريده، ونحن نؤمن أنه ليس كل ما يريده الصغير مسموحًا به، كأن يعبث بما يضره مثلاً أو... إلخ.

فنحن نتفق على السلوكيات القويمة التي لا بد وأن يتربى عليها الصغار، بمعنى أننا تجمعنا مسئولية واحدة لا تتجزأ، والاختلاف لا يعني التجرد من المسئولية، وإنما فكرة تقبل الرأي والرأي الآخر، حتى في النقاشات المختلفة التي تحاول تهميش بعض الآراء والأفكار السليمة.

إن دائرة النقاش ثرية بالكثير، والاختلاف لا يجعلنا نحجم عما نقدم للطفل، ربما يجعلنا أكثر جلدًا، وإن أصابنا بعض الإعياء لبعض الوقت، ربما يجعلنا أكثر دقة فيما نقدمه وقد يعبّر عن فئات في المجتمع تجعل من ذلك الأدب منظورًا حقيقيًا لطابع الواقع المعيش الذي يأمل في المثالية، وإذا استسلم الأديب لإمكانيات الطفل الفائقة في مراحل عمره المختلفة، أو لبعض فئات الأطفال الذين اكتسبوا بعض السلوكيات الخاطئة نتيجة لحياتهم العشوائية، لاندثرت القيم تحت طائلة تلك النظرية التي يقدمها البعض، ولغاب دور التراث فيما قدم آنفًا، وما يسترشد به لوقتنا الحالي، وما جاءت الرسالات السماوية التي علمت بني الانسان أجمع، ولاندثر دور العلم والعلوم الأخرى، وتحول كل شيء في طي النسيان، وتراجع دور الإرشاد النفسي وما يقدمه، وكذلك دور علم النفس التربوي وما يقدمه.

لذلك أتمنى أن يكون أدب الطفل قائمًا على كل ما يتعلق بهموم الطفل وخواطره، ومشكلاته وأفكاره، وصراعاته وأحلامه، والصعاب التي يواجها في معتركات الحياة، ومهامه التي ينتظرها في المستقبل، أليس كل ذلك ضروريًا من أجل بناء وتكوين الشخصية تكوينًا سليمًا يليق بعظمة حضارتنا، وإيمانًا بمبادئنا التي تربينا عليها.

فإن ما نعوّل عليه اليوم حقيقة لا خيال، واقع نعيشه ونؤمن به، من أجل ذلك نستحق أن نحلم، ونظل نحلم بالأفضل. وإنني ما زلت أنظر في ظل ذلك كله إلى دائرة العالم المحيط، ذلك العالم الآخر وتطوره، أين نحن من ذلك العالم ومستجداته، وما قدمه وما يظل يقدمه؟ حتى أستطيع أن أضع الطفل المصري خاصة في المقدمة، ويكفيني أن أحلم من أجله، فذلك الذي يعنيني، وسأظل أجاهد ما استطعت لأقدم له الأنسب، بما يحقق له الرضا في المستقبل؛ لينعم ويقنع بما يقدم له، في ظل عالم مليء بالتطور المذهل.